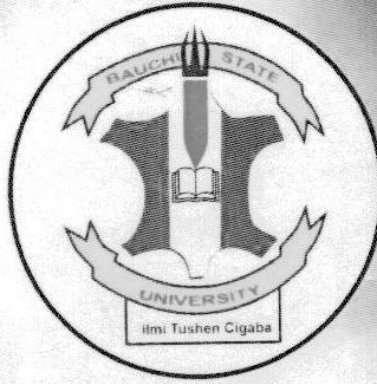




مجلة الآفاق

مجلة عربية محكمة

تصدر عن القسم العربي بجامعة ولاية بوتشي - غطو
المجلد الأول، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠١٦م

AL-ĀFĀQ

Refereed Arabic Journal

Published by the Department of Arabic,
Bauchi State University, Gadau

Volume 1, No. 2, December, 2016

أضواء على الأسلوبية عند الغرب

حسين موسى محمد البشير

قسم اللغة العربية، كلية الآداب،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.

Husainmusa21@yahoo.com

٠٨٠٣٤٢٨٧٩٥٦

المختص:

تعد الأسلوبية ظاهرة من ظواهر الدراسات الأدبية والمباحث النقدية دونتها كتب علماء أوربة، واشتق لفظها من الأصل اللاتيني وانتقل ذلك اللفظ إلى معان، منها: الكتابة اليدوية ثم التعبيرات اللغوية الأدبية. وهذا المقال يهدف إلى إبراز أولية تلك الظاهرة عند الغرب خلال المحاور الآتية:

- التعريف بكلمة الأسلوب عند الغرب
- تطبيقات الأسلوب منذ فرجيل Vergilus
- المعنى الاصطلاحي لعلم الأسلوب في العصر الحديث وبيان عناصره
- أوجه الخلاف بين التعريفات الثلاثة
- الثقافة العلمية للدارس الأسلوبي
- الخاتمة والهوامش.

نشأة علم الأسلوب وتطوره في التراث الغربي التقليدي

التعريف بكلمة "الأسلوب":

ظلت كلمة الأسلوب تتحول في استعمالات الغرب منذ عصر اليونان والرومان من معنى إلى معنى آخر في السياقات المختلفة عبر التاريخ فتطلق كلمة الأسلوب ويراد بها (الريشة) كريشة السيك والدجاجة حيناً ومصداق ذلك ما ذكره الدكتور صلاح فضل في كتابه الموسوم بعلم الأسلوب حيث يقول:

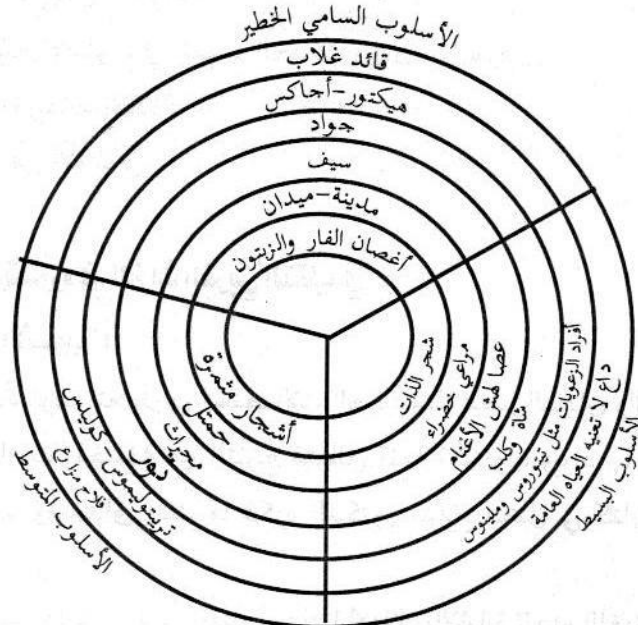
لا تثير علينا أن نبدأ -مثل أجدادنا الأوائل بالإشارة للجزر اللغوي لكلمة "أسلوب" في اللغة الأوربية المعروفة وفي اللغة العربية فقد اشتقت هذه

اللغة من الأصل اللاتيني Stylus وهو يعنى "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة فارتبط أولاً بطريقة الكتابة اليدوية دالاً على المخطوطات ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية كالمجاز والاستعارة والكناية فاستخدم في العصر الروماني في أيام خطيبهم الشهير "شيشرون"^(١).

نستنتج من هذا النص أن الأسلوب لغة بمعنى ريشة ثم بالتوسع تحول معناه إلى المخطوطات اليدوية التي يختلف بعضها عن بعض في الشكل كخط النسخ وخط الرقعة كما اتسع معناه فيطلق تارة أخرى على الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق كالاستعارة والكناية والمجاز المرسل والاقتراس والتضاد، والترادف والمشارك اللفظي، وما إلى ذلك من الظواهر البلاغية.

٢- تطبيقات الأسلوب منذ فرجيل * Vergilius^(٢) (١٧-١٩ ق م):

فرجيل: VERGILIUS: أعظم شعراء روما أُلّف "الرعايات" و"الجيورجيات" وملحة "الإنياذة"، امتاز بشاعرية رقيقة^(٣). كان الأقدمون من اليونان والرومان يصنفون الأساليب الأساسية إلى ثلاثة مستويات: البسيط والوسيط والسامي. ومردّد هذا التصنيف ما لوحظ من التفاوت بين الأجناس الأدبية الثلاثة: الرعويات والزراعات والإنياذة: كما في الترسيم البيانية الآتية:



عجلة فرجيل^(٤)

طبقا لهذه الترسيمية البيانية، يدرك الباحث أن الأسلوب السامي الخطير (الإنياذي) هو الأسلوب الأدبي العالي المنسوب إلى إنيادة الروماني،^(٥) فهو المستوى الأعلى الذي يتناسب مع الطبقة العليا من الأمراء والقواد والمفكرين، والمعيار الأسلوبي لهذا المستوى هو حسن انتقاء لأصول اللغة من الصوت واللفظ والمعنى والصرف والنحو والأشكال البلاغية وأدواتها الفنية. كما ندرك من تلك الترسيمية أن الأسلوب الوسيط هو الذي يلائم الطبقة الاجتماعية الوسطى (الزراعات) من الزراعيين والصناع وتشير الترسيمية إلى أن الأسلوب المتوسط كان للطبقة الدنيا: (الرعويات)، ويتواكب مع رعاة الأغنام والمواشي وغيرهم ممن يعيشون في الغابة مع الحيوانات والطيور.

ولتلك العجلة الفرجيلية تأثير بعيد المدى منذ عصره إلى بدء العصر الحديث. وذلك أن الأسلوب الرفيع هو الذي يتلائم مع كتابات الرسائل والمقالات الرسمية كما أن النمط الوسيط من الأسلوب يستخدم في الحرف والمهن وفي مجال التعليم والدعوة والإرشاد وخطاب الجمهور في المواقف العامة. وإلى هذا أشار الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حيث يتحدث عن أنواع الخطب عند اليونان والرومان والهنود وطبقات الأشخاص التي تتناسب معها، فانبثقت منها نظرية مطابقة الكلام لمقتضي الحال في البلاغة العربية، أي حال الموضوع وحال المخاطب، وحال الموقف.^(٦)

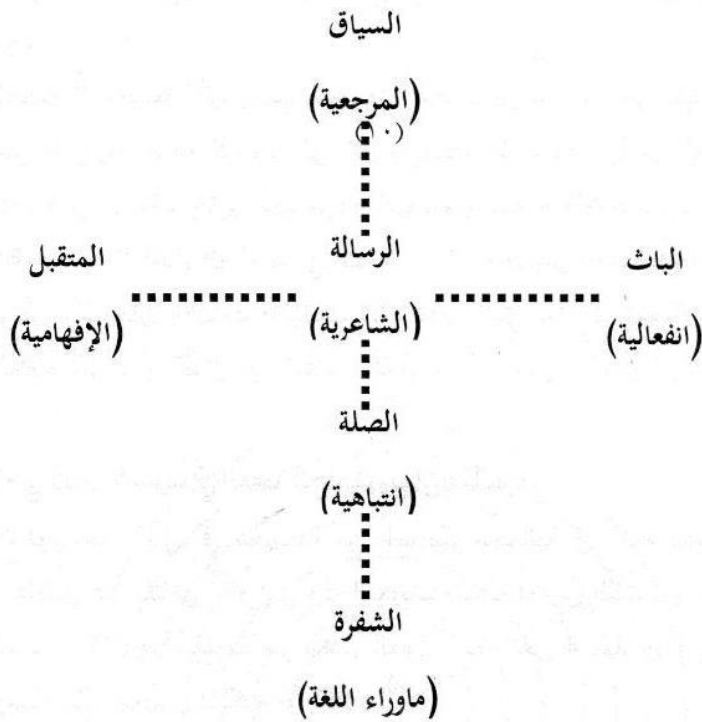
٢- المعنى الاصطلاحي لعلم الأسلوب في العصر الحديث وبيان عناصره:

يتمثل الأسلوب عند "بالي" في مجموعة من العناصر الجمالية في اللغة يكون باستطاعتها إحداث تأثير نفسي عاطفي على المتلقي،^(٧) ويزري هذا التعريف إغفاله لعنصر الكاتب أو المتكلم. ويرى "جيراو" تلميذ "بالي" أن الأسلوب هو مظهر القول ينجم عن اختيار وسائل التعبير التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب.^(٨)

وأما الأسلوب عند جاكبسون فهو تطابق الاختيار الاستبدالي العمودي على محور النظمي الأفقي؛ أي وضع الكلمات المختارة من المفردات المتاحة في مواقعها المناسبة في الجملة.^(٩)

٤- أوجه الخلاف بين التعريفات الثلاثة

يتجلى من هذه التعريفات الثلاثة أن شارل بالي ركّز على جانبي الخطاب والمتلقي وأغفل جانب المبدع المتكلم، أما جيروا فقد اعتنى بعنصري المخاطب والخطاب وأهمّل ركن المتلقي/ المستمع. وأما جاكبسون فقد اهتم بعنصر الخطاب أي النص فقط، لتقديم ترسيمة بيانية تجمع بين تلك العناصر الأساسية الثلاثة في ضوء نظرية الاتصال كما يلي:



فهذا التعريف هو أشمل وأوفى لتحديد عناصر الأسلوب لأنه ذكر هذه العناصر المتكوّنة من المخاطب والمخاطب والخطاب والعناصر بأجمعها تعدّ أصولاً في تناول الأسلوب كما أضفت العوامل المساعدة التي توضح البيانات الخفية والتنبيهات المشعرة والغشارات المفهمة.

شرح هذه الترسّيمة:

قد فسر هذه النظرية عبد السلام المسدي بقوله:

١- المرسل: يولد الوظيفة التعبيرية (Function Expressive)، وتسمى أيضا الوظيفة الانفعالية (Function Emotive)، وهي مركزة على نقطة الإرسال فهي إذن وظيفة تنزع إلى التعبير عن عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه ويتجلى ذلك في طريقة النطق مثلاً أو في أدوات لغوية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجب أو دعوات التثاقل أو صيحات الاستفار...

٢- المرسل إليه: تتولد عنه الوظيفة الإفهامية (Connotative) وتتجسم هذه الوظيفة في الإعلامية (Informatively) كما تتجسم خير تجسيم في صيغة الدعاء وصيغة الأمر... (Imperative/Request).

٣- السياق: يولد الوظيفة المرجعية (Reference) وتسمى أيضاً Cognitive و Denotative وهي الوظيفة المؤدية للإخبار، باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها، وتقوم اللغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة.

٤- الصلة: تولد الوظيفة الانتباهية (Alerting & Phatic Function) وهي تكمن في الحرص على إبقاء التواصل بين طرفي الجهاز أثناء التخاطب، وتتمثل في العبارات التي تُردد في المكالمات الهاتفية مثلاً: (ألو... تسمعني؟ ... أنت معي!...).

٥- السنن: تولد الوظيفة المعجمية (Code & Glossary Function) وتسمى وظيفة ما وراء اللغة (Meta Language Function) مثل هذه العبارات: "ماذا تعني؟... هل أنت تفهم عني ما أقول؟... أليس كذلك؟...".

٦- الرسالة: وعنها تتولد الوظيفة الإنشائية/الشاعرية/الشعرية/الإبداع (Poetic Function) "وهي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة غاية في حد ذاتها لا تعبر إلا عن نفسها فتصبح هي المعنية بالدرس" (١١).

وتنبه الأدباء الناقدون لمحتويات الأسلوب وعناصره المهمة في تعريف الأسلوب ومن ذلك قول إبراهيم عبد العزيز السمرى في تحديد الأسلوب بأنه: جملة الصيغ اللغوية التي تعمل عملها في إثراء القول وتكثيف الخطاب، وما يتبع ذلك من بسط لذات المتكلم، وكشف عن سرائره، وبيان تأثيره على السامع (١٢).

ثم وضع ذلك دليلاً للدارس الأسلوبى في كتابه (Text and Context) المؤلف عام (١٩٧٧) وقد ترجم هذا الكتاب الأستاذ عبد القادر قنيني إلى اللغة العربية، وبين معنى السياق

وضروبه وأفعال الكلام كما وضع أغراض الأفعال التداولية وبنية السياق وضروب الأفعال اللغوية مع تعاليق في الفصل السابع وكذلك تناول أغراض الخطاب التداولي والجمل والمتواليات وأدوات الربط والترابط والسياق في الفصل الثامن من الكتاب.

ثم قدم دي بوجراند ودريسler كتابهما الموسوم (Introduction to Text Linguistic) الذي يعني "مدخل إلى علم لغة النص" ويعد الكتاب من الإسهامات الفعالة في كشف الغطاء عن أسرار النص وأساليب التحليل الخطابي لأنهما استخرجا الأسس الموضوعية التي يجدر بالدارس الأسلوبى مراعاتها في تحليل النص ودراسة الخطاب لغة وسياقا. وقد أورد هذه الأسس الدكتور حسام أحمد فرج في كتابه نظرية علم النص (٢٠٠٧م) حيث يعلق على كتابهما بقوله:

ويعدّ كتاب دي بوجراند ودريسler (١٩٨١م) (Introduction to Text Linguistic) صاحب الرؤية الأكثر النصوص شمولاً ونضجاً، لما فيه من أسس موضوعية في رؤية النصوص، استفاد فيها صاحباها من مجهودات السابقين عليهما، فقديما منهجا جمع بين الجوانب اللغوية والجوانب البراجماتية من خلال وضع سبعة معايير النصية هي:

١- الموقفية Situationality

٢- القصدية Intentionality

٣- المقبولية Acceptability

٤- الإعلامية Informativity

٥- السبك Cohension

٦- الحبك - التماسك Coherence

٧- التناسق Intertextuality^(١٣).

٥- الثقافة العلمية للدارس الأسلوبى

ذكر المحللون والناقدون عددا من العلوم التي ينبغي للدارس الأسلوبى أن يتثقف بها

كما يلي:

١- هضم قواعد اللغة (النحو، والصرف، متن اللغة، البلاغة، المنطق، علم الدلالة والتداولية) براجماتية والسيمائية وعلم الاتصال.

٢- إلمام بالعلوم الإنسانية الحديثة (علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ).

٣- العلوم الطبيعية (علم الأحياء والكيمياء والفيزياء وعلم الفلك).

وهذه العلوم السالف الذكر يجب على المحلل الأسلوبي أن يتسلح بها ولو قليلا لكي يتوصل بها إلى القيام بتحليل الأسلوب في النتاج الأدبي تحليلًا أسلوبيًا مقنعا. وهذه العلوم تكسب المحلل المهارات اللغوية والمملكة العلمية ومعرفة مقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين وميولهم واتجاهاتهم وبالتالي يعرض تحليله عرضا يكشف أسلوب المؤلف ورسالته وتأثيره على المتلقي.

الخاتمة

يتجلى من خلال هذا المقال سعى علماء الغرب في إبراز علم الأسلوب في تراثهم، وما للأسلوب من التعريفات المتعددة. ثم عرضنا أوجه الخلاف لتلك التعريفات كما بين المقال الثقافات العلمية التي يجب على الدارس الأسلوبي أن يتثقف بها حتى يستطيع أن يحلل النتاج الأسلوبي تحليلًا أسلوبيًا.

الهوامش والمراجع

١- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص ٧١-٧٢

٢- صلاح فضل، علم الأسلوب... المرجع نفسه، ص ٢٤٩

٣- لويس معلوف اليسوعي، المنجد في الأعلام، ط٢٢، لبنان، دار المشرف بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤٠٨

٤- صلاح فضل، علم الأسلوب... المرجع السابق، ٢٥٠-٦٣٩

٥- لويس معلوف اليسوعي، المنجد في الأعلام، المرجع السابق، ص ٧٩. والإنياذة: ملحمة ألفها فرجيل بطلها انياس الطروادي هرب بعد خراب طروادة إلى قرطاجة فشغفت به ملكتها ديدون فتركها إلى إيطاليا حيث أسس أحفاده روما.

٦- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، لبنان، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ٢٠١١م (١٤٣٢هـ)، ص ٦٣

٧- إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي، ط ١، القاهرة، دار الآفاق العربية القاهرة ٢٠١١م، ص ٢٥٠-٢٥١

- ٨- إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي، ص ٢٥٠-٢٥١
- ٩- إبراهيم عبد العزيز السمري، المرجع نفسه، ٢٥٤
- ١٠- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط ٥، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٦م، ص ٤٥
- ١١- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، المرجع نفسه، ص ١٢١-١٢٢
- ١٢- إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي، المرجع السابق، ص ٢٤٩
- ١٣- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط ٢، القاهرة: مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٥١-٢٥٢

